الشاعر الفلسطيني احمد الدبور واللغة العربية

عنايت راشد صالح صلاحات

المقدمة

يعد التراث آلية أساسية من آليات الوجود القومي، إذ يشكل أحد الجذور القومية التي تستند إليها كل أمة في مواجهة الأخطار التي تهدد وجودها وكيانها وشخصيتها.إضافة إلى ذلك فإن الشعراء وبخاصة الشعراء الفلسطينيين لجئوا إليه ليتحدوا به كل المشاكل التي تحيط بهم.

واتخذه الشاعر أحمد دحبور ووظفه في شعره ،فانتفع بالرموز والشخصيات التراثية ليعبر من خلالها عن الواقع المرير الذي يعيشه الشعب الفلسطيني،ويجسد كافة معاني القهر والتشرد والاجتثاث من الأرض والغربة والقتل الجماعي الذي تعرض وما زال يتعرض له الشعب الفلسطيني.

وقد اعتمدت في بحثي هذا على المنهج التكاملي،حيث قمت بقراءة ديوان"حكاية الولد الفلسطيني"المكون من ثلاثين قصيدة،واستخرجت القصائد التي تحتوي على مواطن التناص وأرجعتها إلى مصدرها الأصلي،وحاولت الربط بين الماضي والحاضر والمستقبل،لعلي أتوصل إلى نتيجة يريد إيصالها الشاعر للمتلقي. وبحثي هذا يتكون من مقدمة ومدخل "حياة الشاعر وأبرز دواوينه"،وأربعة فصول،وخاتمة.

ففي الفصل الأول:تحدثت عن توظيف التراث التاريخي بما فيه من شخصيات تاريخية وأحداث حدثت في الماضي وأثرها في ديوانه.

وفي الفصل الثاني:تناولت التراث الديني،الذي يشكل مصدراً خصباً من مصادر الإلهام في الأدب شعراً ونثراً،بما يحتوي من ألفاظ القرآن الكريم والسيرة النبوية العطرة. وفي الفصل الثالث:درست التراث الأدبي ووضحت كيفية تعامل الشاعر مع الشعر العربي القديم والحديث وفي الفصل الرابع :تعرضت لتوظيف التراث الشعبي بما فيه من أمثال وقصص وأغاني شعبية.

ومن أهم الصعوبات التي واجهتني في البحث،صعوبة توثيق النصوص الأصلية المأخوذة من التراث الشعبي وذلك لقلة المصادر المختصة بهذا التراث.

مدخل:

حياة الشاعر

ولد أحمد دحبور في حيفا في الشمال الفلسطيني، وعلى إثر نكبة ٤٨ هاجر أهله إلى لبنان ومنها إلى سورية. نشأ ودرس في مخيم اللاجئين قرب حمص.

انضم إلى إحدى حركات النضال الوطني الفلسطيني وكرس شعره لقضية بلاده. عمل مديرا لتحرير مجلة لوتس حتى عام ١٩٨٨ ومديرا عاما لدائرة الثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية وعضو في اتحاد الكتاب.

من دواوينه الشعرية :

- الضواري وعيون الأطفال ١٩٦٤
- حكاية الولد الفلسطيني ١٩٧١
- طائر الوحدات ١٩٧٣
- بغير هذا جئت ١٩٧٧
- اختلاط الليل والنهار ١٩٧٩
- واحد وعشرون بحرا ١٩٨٠
- شهادة بالأصابع الخمس ١٩٨٢
- هكذا ١٩٩٠
- كسور عشرية ١٩٩٢
- هنا وهناك ١٩٩٧
- كشيء لا لزوم له
- أي بيت

التراث التاريخي

يعد تاريخ الأمة العربية بما فيه من أحداث وشخصيات وما يتبعها من نصر أو هزيمة، مثلا يحتذى به في مواجهة الحاضر مهما كانت صعوبته. فالقائد الناجح يقرأ ذاكرة الأمة قراءة متأنية،

حكيمة، ناقدة، كي يستفيد من أسباب التقدم والتراجع عند العرب فالعمل القوي المتين يحتاج إلى جذور عريقة كي يستمر في مواجهة الصعاب التي تحول دون وحدة الأمة. وبما أن الأدب يختزن في طياته الأحداث التي مرت الأمة بها ويصور الجوانب المشرقة والمظلمة من تاريخها، ويحاول أن ينقد هذا العصر، ويبعث الأمل في نفوس الشعب فلا بد له من الاستفادة من معطيات التاريخ. فالشاعر عندما يريد الحديث عن أي قضية يختار رمزا من رموز التاريخ ويذيبها في قصيدته بطريقة فنية تعيدنا إلى ذاكرة الأمس بربطها مع الحاضر.

إن أحمد دحبور استغل هذا التراث كي يوصلنا إلى فكرته أو موقفه من قضية ما، فأتى بشخصية طارق بن زياد، فاتح الأندلس، عندما وقف أمام جيشه رافعا سيفه المسلول. فصمت الجميع وقد عرفوا من إشارته هذه أنه سيخطب بهم، فحمد الله وأثنى ودعا إلى الجهاد وقال: " أيها الناس أين المفر؟ البحر من ورائكم، والعدو أمامكم، وليس لكم والله إلا الصدق والصبر". (١)

ففي قصيدة أحمد دحبور ثلاثة خطوط أفقية:

- البحر من ورائكم
ماذا وراء البحر؟
خليفة يسلبنا القوت وغاز النصر (٢)
- البحر من ورائكم
- نحن نريد البحر (٣)

فالشاعر هنا استحضر مفتاح البطولة "طارق بن زياد" كي يسقطه على الوضع الحالي لكن بطريقة عكسية لن وضع الأمة الآن يختلف عن وضعها زمن طارق، الذي زرع في نفوس أمته حب الجهاد من اجل الوصول إلى الانتصار. عن طريق دعم الأمة دعما ماديا ومعنويا، والإخلاص له بعدم طعنه من الظهر. وهذا عكس حال الأمة العربية بعامة والشعب الفلسطيني بخاصة لذلك نجده يطلب من الأمة التراجع نحو البحر لأنه لا فائدة من القتال في ظل أمة لا تحقق النصر، بل تسلب الفرحة منه وتطعنه في ظهره.

ورمز الشاعر بالبحر إلى الأنظمة العربية، واستخدم أسلوب الاستفهام: ماذا وراء البحر؟ ليعبر لنا عن مدى الألم والخذلان والغدر الذي لحق به من قبل الأمة وحكامها التي لم تقدم له أي دعم من دعائم الانتصار على عكس أمة طارق الأمة الواثق بها لأنها متجذرة في حب الجهاد والإخلاص.

وتنكر الشاعر وراء شخصية كادت تكون نكرة في تاريخنا العربي ألا وهي شخصية ورقة بن نوفل الذي رفض الجاهلية، لكنه لم يتخذ موقفا إيجابيا واحدا، نصب بينه وبين الجاهلية جدارا، ولم يشعر بعد حدث عظيم كمعركة ذي قار مثلا إن هناك إمكانية للثورة في الصحراء ولما كان التاريخ لا ينتظر أتى محمد ولم تتح الفرصة لنوفل لتأييده. (١)

خلف الجدار تسكن الخرافة
يطفح بحر الرمل بالخرافة
قربانهم كبش سمين يذبح الأمير
يذبحه الأمير
تبزغ من دمها الخرافة
وبين ريح الرمل والهدير
ورقة مغلوبة في ساحة القمار تستجير
لكنها مهملة تظل
لا تسعفها الخرافة
ولحظة فلحظة تخف دون نسمة تطير
ألا تراه مقبلا شرارة كأنة في اللات
أو بحيرة تفور من دم القرابين، استفق
لعله الناموس: ها ذي قار تلقي النار،
لا لم تحترق
ناموسك الخفي (لو تظهره) يسفه الشرور
يزدري ضلالهم
أشعل الفتيل نلمح البداية
الجذور تدفع التراب
والعيون تأكل السراب
كن إذن دليله
ولو للحظة
يكاد يهبط الستار
.. كن ..
.. يكاد .. (١)

هنا أسقط الشاعر شخصية ورقة بن نوفل، الذي كان له موقف إيجابي فكان على إثره من أعلام التاريخ، لكن لم يبد فعالية لهذا الموقف - تأييد الإسلام والرسول والمشاركة في ذي قار الفاصلة بين الجهل والتحضر فقد كادت تغير بعض عادات العرب. لكن ورقة بقي على الهامش، نكرة لم يكتب له في صفحات تاريخه أية علامة من تأييد وفعل، فلا فائدة مرجوة منه. وأسقط الشاعر هذه الشخصية على حال الفلسطيني بعد ١٩٦٥، فلم يكن له شخصية تدفعه للعودة إلى وطنه المأخوذ منه قصرا او حتى المدافعة عنه بل ظل صامتا ساكنا كان لا وجود له في تاريخ هذه الحرب. على الرغم من أنه قادر على المشاركة ماليا وجسديا (الشهادة) من اجل الأرض. حتى لا يبقى مهملا منسيا لا تفطن الأمة لحقوقه لأنه لم يتكلم أو يفعل أي شيء دافعا عن أرضه

التي تمنحه القيمة والعزة والمقدار المعنوي ونلاحظ جمال التورية: كم ورقة تمزقت قبل رصاصة الفاتح" (١) يرمز بها إلى كل من يشبه ورقة بموقفه وكأنه ورقة مهملة ممزقة لا فائدة منها في صفحات التاريخ.

واستحضر الشاعر من القصة التي لولاها لما وصل الشعر، قصة الزير سالم التي جسدت حرب البسوس بأبطالها (الزير، كليب، جساس) الحرب التي اشتعلت بين قبيلتي بكر وتغلب في أواخر القرن الخامس الميلادي وكان السبب اعتداء سيد تغلب كليب على ناقة للبسوس خالة جساس بن مرة سيد بني بكر، إذ رمى ضرعها بسهم فاختلط لبنها بدمها ولما علم جساس ثار لكرامته، وسنحت له الفرصة لقتل كليب فقتله، ودارت رحى الحرب طاحنة لأربعين عاما(٢). وعندما قتل كليب كتب بدمه لأخيه وصاياه العشرة:

هديت لك هدية يا مهلهل
عشر أبيات تفهمها الذكاء
وأول بيت أقول استغفر الله
إليه العرش لا يعبد سواه
وثاني بيت أقول الملك لله
بسط الأرض ورفع السماه
وثالث بيت توصى باليتامى
وأحفظ العهد ولا تنسى سواه
ورابع بيت أقول الله اكبر
على الغدار لا تنسى أذاه
وخامس بيت جساس غدرني
انظر الجرح تعطيك النباه
وسادس بيت قلت الزير اخي
شديد إلباس قهار العداه
وسابع بيت سالم كون راجل
لأخذ الثار لا تعطي وناه
وثامن بيت بالك لا تخلي
لا شيخ كبير ولا شفاه
وعاشر بيت إن خالفت قولي
أنا وإياك لقاضي القضاة. (١)

فالشاعر استحضر الوصايا العشر في قصيدة العين في الجرح، يقول:

وقرب رمحي الرديني
رأيت رأس كليب
يضيء وجه المخيم
يقول لي: لا تصالح
يقول لي: أنت ملزم
إن الدما لا تسامح
فهل تسدد ديني
سيدي .. مالكم يمين
دمكم يثقل الجبين
دمكم أرضنا .. ولن
تفجع أأرض بالبنين
دمكم قال: نحن من؟
فخرجنا من الكفن
من بطاقات لاجئين
من يدي سائل حزين
ودخلنا على الزمن
زرعت في الجرح عين
قرأت عشر وصايا
على بلاط المنايا
يقلن لي: إن بيني
وبين الأرض قطيعة
ما لم أسد في الوقيعة
ما لم تسابق يدايا
خيل الضنى والفجيعة
إلى رقاب عدايا. (١)

فنجد أن الشاعر أسقط هذه الحرب وأبطالها على وضع اللاجئين في المخيمات، فكأنه رمز بأهل المخيم الذين شردوا وهجروا بكليب الذي قتله جساس غدرا واللاجئون يطالبون على لسان كليب بعدم المصالحة والتنازل عن حقوقهم. بل تدعو إلى الثأر. وبما أن القصيدة أرخت بعام ١٩٦٩ عندما استلم ياسرعرفات رئاسة اللجنة التنفيذية (٢) فكأن أهل المخيم يطالبونه هو ياسر عرفات بعد المصالحة مثلما طالب كليب أخاه المهلهل من خلال الوصايا العشر المكتوبة بدمه. والشعب الفلسطيني يطلبها بدم الشهداء الطاهر. فهم لا يريدون المصالحة بل طريق النضال لاسترداد حقوقهم.

وأخذ الشاعر من التاريخ ما يدعم موقفه، ويثبت رأيه وهي حادثة من حوادث التاريخ المشرقة، هي معركة حطين وقائدها صلاح الدين الأيوبي، الذي أخذ بكل أسباب النصر بما فيه الاستعداد للمعركة: فقد اختار الرماة، وزودهم بالنبال الكافية، فملأ حياتهم بها، وقد بلغ ما فرقه على الرماة من نبال ٤٠٠ جمل، ورصد حمولة ٧٠ ناقة في ساحة المعركة، وجعل هذه النوق المحملة بالسهام، لمن تنفذ سهامه أن يأخذ منها ما يحتاج ضمانا لاستمرار القتال والرمي"(١) وهو بذلك لم يبق شيئا من أسباب الفوز، إلا وجلبه لجيوشه من جميع النواحي المادية والمعنوية، ولم يتركهم وحدهم بل كان يفيض عليهم من عبارات التأييد والانتصار المعنوي.

ففي قصيدة حكاية الولد الفلسطيني، يقول الشاعر:

أنا الرجل الفلسطيني
أقول لكم: رأيت النوق في وادي الغضا تذبح
رأيت الفارس العربي يسأل كسرة من خبز حطين
ولا ينجح

فكيف، بربكم، أصفح؟! (٢)

فمن خلال أحداث هذه المعركة، نجد أن الشاعر يسقط هذه الحادثة المشرقة على حالنا الآن، فهو يطلب أبسط أنواع التأييد من الأمة العربية ألا وهو كسرة خبز، كأنه يريد أن يرينا حجم التهاون والتخاذل الذي يلاقيه المجاهدون وخصوصا المقاتل الفلسطيني، فلا يجد أبسط أنواع التأييد، فيتركونه وحيدا في ساحة المعركة، فلا يهبون لنصرته ولا لنصرة قضيته، فبعد هذا الموقف المخزي من الأنظمة العربية، كيف للشاعر أن يصفح؟.

التراث الديني

شكل التراث الديني بما فيه (ألفاظ القرآن وقصصه، والسيرة النبوية، والشخصيات الدينية، والأحداث، والتراث المسيحي بما فيه العهد القديم والجديد، مصدرا خصبا للشعراء، إذ استمدوا من هذا التراث كل ما يريدون من معاني وأحداث تساعدهم على تقريب الفكرة من ذهن المتلقي، المرتبط روحانيا بهذا التراث الذي يشكل جنة للشعراء يجدون فيه كل الألوان.

والشاعر أحمد دحبور استمد من القرآن ، المعاني السامية التي يرتقي بها في شعره، ففي قصيدة "صورة" يقول:

ذلك الصقر المقاتل
أسرجت أعوامه العشرون خيل العاصفة
كان في جبهته سبع سنابل
لها حتى يصد البؤس عن سود المنازل
في فلسطين الرءوم النازفة
لم نكن يا جرح نعلم
لم تكن حتى جيوب السر تعلم
أنه في الليلة الأولى من الصوم
يغازل حلوة فيطعمها سبع سنابل
فتغاويه
تغطي صدره العاري المهشم (١)

هنا استمد الشاعر لفظة سبع سنابل من الآية الكريمة: " مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم". (١)

فالآية تحث المسلمين على إنفاق أموالهم في سبيل الله، وبينت ما يجنيه المنفقون من جزاء على هذا، ٧٠٠ ضعف. وأفاد الشاعر من هذا المعنى ووظفه للثوار والأبطال، فالثائر يحمل الحبة، ويحمل في جنباته سبع سنابل، فعندما يضحي المناضل بحياته يكون قدوة ومفتاحا لأضعافه من المناضلين فهو يفتح بنضاله الطريق لآلاف الشهداء مثله. كأنه ينجب من فكرته المتمثلة بالشهادة آلاف الأفكار المشابهة عند المناضلين. فالشاعر اقتبس مفهوم الضعف والزيادة (حبة تنجب آلاف الحبات) أي (فكرة تنجب آلاف الأفكار) وبالتالي تضاعف الأجر والثواب.

واستلهم الشاعر قصة طير الأبابيل وريح المنون في قصيدة "البشارة":

قلت: في فوارة الغيظ يجيء الفاتحون
وعلى ظهر حزيران المكابر
قلت عن طير الأبابيل وريح المنون
أنها تنهض من مرج ابن عامر (٢)

فقد اعتمد على الآية الكريمة: "وأرسل عليهم طيرا أبابيل، ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول" (٣)

أما ريح المنون فمن الآية: "أم يقولون شاعر نتربص به ريح المنون" (٤) فالله سبحانه وتعالى بعث طير الأبابيل لتدافع عن بيته، والشاعر اقتبس المعنى ليصور المجاهدين الذين يدافعون عن أرض الوطن، والمنية التي تنقص العدد، وتقطع المدد، فهو يطلب من المجاهدين أن يكونوا مثل طير الأبابيل لكي ينقصوا أعداد المحتلين بوساطة ريح المنون التي تدفع المجاهدين لإنقاص عدوهم وطرده من أرض فلسطين.

ووظف الشاعر في قصيدة "عرس على الطريقة الفلسطينية" الآية الكريمة "أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنت تجري من تحتها الأنهر خالدين فيها ونعم أجر العاملين" (١)

فقال في القصيدة:

العالم أسرة أيتام تتصور
وفلسطين في هذا العالم
جنات تجري تحت حجارتها الألغام (٢)

فالشاعر أخذ معنى الآية التي تحث على الإيمان بالله والإنفاق في سبيله والتضحية بالنفس من اجل مرضاته والفوز بجنته. وهذا ينطبق على أرض فلسطين التي أضحت جنة صعب منالها، مليئة بالألغام، فمن يريد الجنة عليه أن يقدم روحه ودمه قربانا لهذه الأرض المباركة العفيفة. فالشهادة تعطر الجنة بالرائحة الزكية، وتفجر الأنهار الخالدة المليئة بالمياه العذبة - نهر الكوثر. ففلسطين كل يوم تحمل الأيتام في كفها الأيمن، وتحتفل بالشهداء الذين رووا ثراها بدمهم الطاهر، وأنبتوا شهداء جددا يدافعون عن أرض فلسطين. ووظف لفظة الصراط المستقيم، في قصيدة "يومان، ثلاثة في دمشق"

لو سكن الغريب فوق شعرة الصراط
الكرمل الأسير يبقى شعرة الصراط (٣)

من الآية الكريمة: "اهدنا الصراط المستقيم" (٤)

فالمسلم يدعو ربه خمس مرات يوميا أن أهدني الطريق الصحيح لعبادتك عبادة مستقيمة بعيدة عن الضلال الذي يقوده الشيطان. والشاعر استخدم الدعاء هذا ووظفه ليدعو الفلسطيني المشرد البعيد عن وطنه كي يسلك الطريق المستقيم – طريق العودة إلى الوطن الذي يحتله العدو الصهيوني (الشيطان). فالطريق المستقيم هو العودة إلى الوطن وطرد الشياطين منه عن طريق الجهاد.

واستمد الشاعر من السيرة النبوية حادثة الهجرة، ووظفها في قصيدة "ثلاثة خطوط أفقية" يقول فيها:

السيد الأمين
كان له مغارة وخيط عنكبوت
فلفت المطاردين خيط السكوت
كان له تميمة اللقاء من حليمة
وقته حمى اليتم والتشرد الممقوت
واليوم حين ألغيت حليمة
وماتت الأسرار في التميمة
عادوا من الطراد قائلين
ليس له مغارة .. وفي غد يموت (١)

فوظف الهجرة حين أمر الله تعالى نبيه بالهجرة وألا ينام في مضجعه تلك الليلة (٢)، فترك عليا يتولى أمور الرعية. واجتمع المشركون لقتله لكنهم فشلوا. وأقام الرسول مع ابي بكر ثلاث ليال في غار ثور، والمشركون لحقوا بهما فأخذ الروع يدب في قلب أبي بكر فهدأه الرسول قائلا: " يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما" فأعمى الله أبصار المشركين عنهما فلم يحن من أي منهم التفاتة نحو الغار لا سيما وأن خيوط العنكبوت والعش الحمامة أبعدا الشبهة عنه. فلحق بهما سراقة بن جعثم لكن ناقته غدرته، ودب في قلبه الرعب وأيقن أنه لن يصل إليهما. فنادى الرسول بالأمان. (١)

فالشاعر من خلال قصة النبي أخذ منها المعاناة والرعب والتشرد وأسقطه على المناضل الفلسطيني، الذي يسكن أرض الرباط وكلها خوف ورعب. وهو كثير التشرد من مكان لآخر ، فالشاعر يحرض الفلسطيني على الأخذ بالأسباب وتطبيقها من اجل النصر كما فعل النبي في هجرته. ونلاحظ إيقاع السرد في الأبيات هذه.

وأخذ معجزة من معجزات النبي وهي معجزة الإسراء والمعراج، ووظفها في قصيدته "اليتامى":

وكان على الصخر ينشج
أبو لهب يقتفيه، فينهد، ينشج:
" .. ولو مت غيلة
فإن صلاتي إلى الأرض تخرج
تصوغ الحوار - القبيلة
تسوق الأضاحي ، وتنفي الأضاحي الدخيلة
وكان اغتراب ورؤيا طويلة
وكان نبي إلى الله يعرج (٢)

فالرسول عانى ألوانا شتى من المحن لاقاها من قريش، وكان منها ما عاناه وقت هجرته إلى الطائف وظهر هذا من دعائه طلبا لمعونة الله فجاءت ضيافة الإسراء والمعراج تكريما له من الله.

فالشاعر أسقط هذه المعجزة على الشعب الفلسطيني الذي تحمل شتى أنواع العذاب والمعاناة من اليهود وعلى الرغم من ذلك يستطيع الوقوف أمام جروت الاحتلال وظلم العدو الصهيوني. كأنه هذا تأييد من الله جزاء القرابين العفيفة – دماء الشهداء الغالية التي هي أغلى ما تملك فلسطين لتقدمه إلى الله. وكأن هذه القرابين مقبولة على عكس القرابين الدخيلة المزيفة.

ويوظف الشاعر أيضا قصة آل ياسر ويستحضرها في قصيدة "البشارة":

من رأى أهلي النشامى يهتفون:
يا مشاوير الكرامة مرحبا
يا جبال النار ثورة .. مرحبا
مرحبا يا آل ياسر
أبشروا يا آل ياسر
قلت: في فوارة القيظ يجيء الفاتحون
وأراهم يعبرون (١)

عن أم هانئ بن أبي طالب قالت: إن عمار بن ياسر وأباه وأخاه عبد الله وسمية أم عمار كانوا يعذبون فمر بهم الرسول فقال: صبرا آل ياسر صبرا آل ياسر. فمات ياسر تحت العذاب وأعطيت سمية لأبي جهل يعذبها أعطاها له عمه أبو حذيفة فإنها كانت مولاته فأخذها أبو جهل وعذبها تعذيبا شديدا رجاء أن تترك دينها فلم تجبه ثم طعنها في فرجها فماتت وكان يقول: ما آمنت بمحمد إلا انك عشيقته لجماله. قيل: إنها أول شهيدة في الإسلام (٢)

الشاعر أسقط ملامح القصة على المناضل الفلسطيني الذي قدم تضحيات من اجل تحرير وطنه، فالشاعر يشد على أيدي المناضلين ويقول لهم لا تتنازلوا عن حقوقكم، بل تمسكوا بها فالله ينصركم ويبشر شهداءكم بالجنة، فلا تيأسوا ولا تملوا ولا تغيروا طريقكم.

إن الشاعر لم يتكئ في شعره على الدين الإسلامي فقط، بل استلهم كذلك من الدين المسيحي قصة السيد المسيح

وظفها في قصيدته "العين في الجرح" يقول:

منذ ومض من السنين
ظهر الهيكل الثمين
فنزعنا مخاوفه
وطردنا الصيارفة (١)

استحضر الشاعر شخصية المسيح، الذي جاء كي يحقق مهمة وكلت إليه وهي تطهير الأرض من كل الأعداء وخاصة الصيارفة والقتلة من الهيكل(٢)، فهو ثار عليهم ولم يسكت لهم. ورفضهم رفضا باتا من خلال مقاومتهم والتمرد عليهم فالشاعر يريد أن يجعل من المسيح قدوة للفلسطيني الثائر في ألا يسكت للظلم والعدوان بل يسعى للجهاد ضد الاحتلال.

التراث الأدبي

يعد الموروث الأدبي، أكثر التصاقا بالشعراء، لما له من تأثير في نفوسهم. وبما أن كليهما شاعر، يعبر عن قضية ما، ويعد صوت شعبه ليسرد لنا آلامه ومعاناته. فأصبح من السهل على الشاعر الحديث أن يفيد من هذه التجربة ويسقطها على تجاربه الحاضرة. والشاعر أحمد دحبور استحضر في ديوان "حكاية الولد الفلسطيني" شخصيات أدبية، قاربت تجربته في المعاناة والتشتت، والتحدي الإصرار. ومن هذه الشخصيات: عمرو بن كلثوم، الشاعر الجاهلي، في نونيته المشهورة في ذلك العصر حتى غدت مصدر هجاء لتلك القبيلة، بعد أن كانت مصدر فخر، يقول أحمد دحبور:

أقول وقد بدلت لساني العاري بلحم الرعد
ألا لا يجهلن أحد علينا بعد
حرقنا منذ هل الضوء ثوب المهد
وألقمنا وحوش الغاب مما تنبت الصحراء
رجالا لحمهم مر ورملا عاصف الأنواء
ولما ليلة جنت .. أضاء الوجد (١)

فالشاعر تناص مع بيت عمرو:

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا (٢)

فأحمد دحبور يستحضر حكاية عمرو عندما ثار على تصرف أم الملك مع أمه، فبموقفه يتبين لنا مدى فخره، فهو رفض الذل والرضوخ والإهانة(٣). فيسقط هذه الحكاية على حكاية الولد الفلسطيني الذي تشرد ولوحق من قبل الصهاينة فأحمد يريد من الولد الفلسطيني أن يكون كعمرو في فخره بنفسه وعدم قبوله الرضوخ بل أن يثور ويقاوم لأنه أخرج رغما عنه من أرضه ووطنه.

أما الظرف (بعد) فوجوده يصور لنا أن هناك حالة من قبل هي حالة المخيم واللجوء اما الحالة الآن فسنتكون مغايرة فيها تحدي ورفض للعدو فيقول ألا لا يجهلن أحمد علينا بعد الآن.

واستحضر في قصيدته "رواية مخيم" شاعرا تشابهت لوعته وحنينه مع لوعة الشاعر إلى وطنه أيضا:

عشرون تكفي .. ليست في شرعي وصيا
عشرون تكفي .. شب هذا الطفل
سب الهم
عاد الجوع وحيا
انظر كيف صار لي زندان
لي وجه وذاكرة
ولي في العمق بيت ما تهدم
اترك على الجوع .. وهذا الجوع رباني وعلمني كتابه
واذكره إذا استحلفت أني لم أبع أهلي وان ضنوا عليا
عربية هذي الهموم وأنت تعلم عربية فانظر اليا .. (١)

فالشاعر أخذ تجربة شاعر، ولكن حب الوطن وذكرياته ألحت عليه وفكر أن يرجع فقال:

بلادي وغن جارت علي عزيزة
وأهلي وإن ضنوا علي كرام

وأحمد دحبور يروي على لسان القصيدة أنه قضى عشرين عاما في الشتات والغربة ولاقى جميع أنواع المعاناة من جوع واسى وحزن، إلا إنه نفد صبره ورجع إلى حيفا موطنه الأصلي فأبعد عنها قسرا.

وتغنى الشاعر بما تغنى به الشعراء القدماء في قصيدة حكاية الولد الفلسطيني

أنا الرجل الفلسطيني
أقول لكم: رأيت النوق في وادي الغضا تذبح
رأيت الفارس العربي يسأل كسرة من خبز حطين ولا ينجح
فكيف بربكم أصفح؟ (١)

فتغنى بوادي الغضا الذي تغنى به الشاعر الأموي مالك بن الريب الذي استشهد في بلاد فارس وهنا يرثي نفسه ويتذكر قومه وأهله:

فليت الغضا لم يقطع الركب عرضه
وليت الغضا ماشى الركاب لياليا (٢)

هنا التقى الشاعران بالحزن والرثاء فكلاهما يرثي نفسه وقومه.

نلاحظ أن الشاعر تأثر بثلاث شخصيات قديمة في شعره، وتأثر أيضا بالشعراء المعاصرين، الذين تشابهت تجربتهم مع تجربة الشاعر وذلك في

قصيدة " الخيال والجواد المحتضر" تأثر ببيتين من أبيات قصيدة "بعد المنفى" لأحمد شوقي التي قال فيها:

ويا وطني لقيتك بعد يأس
كأني قد لقيت بك الشبابا
وكل مسافر سيؤوب يوما
إذا رزق السلامة والإيابا (٣)

كلاهما يخاطب وطنه كأنه إنسان لشدة التصاقهما به ويبثان حزنهما عند لقائه. لكن يوجد مفارقة فشوقي التقى وطنه أما دحبور فلا، لذلك حذف كلمتي "السلامة والإيابا" من بيته.

التراث الشعبي

بما أن الشاعر عاش بعد النكبة إثر تهجيره ظروفا صعبة في المخيم فقد كان يعيش حياة بدائية. نرى أن شعره ارتكز على التراث الشعبي بشكل كبير ونلاحظ ذلك في مقدمة ديوانه عندما قال " أمي والزير سالم وموريس قبق الشخصيات الثلاثة التي لولاها ما عرفت إذا كنت سأصل الشعر أو ما إذا كان وصولي سيكون على هذا النحو. كنت أعيش على حكايات أمي .. أية مخيلة عظية كانت لهذه المرأة" (١)

وهذه العوال ساعدته على جودة شعره من خلال اتخاذ الأغنية الشعبية والمثل الشعبي والحكاية الخرافية منطلقا لير زيد المعنى عمقا. ليؤثر في النفس أكثر. ويقربها من الحدث أكثر لأنه مأخوذ من تراثها

ومن أشعاره التي وظف فيها الأغنية الشعبية قصيدته "الخوف وحبات الطلع" أهداها إلى ذكرى الشهيد جلال كعوش، يقول:

الطلع خلف الباب، طوع الريح، يبحث عن ربيع
والريح تعصف يا ثياب أبيك دامية تشيع
يا شجرة في الدار حاميها أسد
وتكسرت الأغصان من كثر الحسد
بيدي زرعت والثاني حصد
يا حسرتي .. (٢)

لم يتوقف الشاعر بل يواصل مكررا:

كانت .. جلال الجرح يخرسني وذاكرتي تشيع
بيدي زرعت والثاني حصد
يا حسرتي .. ردوا الحمل بعد لنا (٣)

وهذا الأغنية مأخوذة من العتابا

يا شجرة بالدار حاميها أسد
وتقطعت الأغصان من كثر الحسد
يا حسرتي زرعت الزرع واجبا غيري حصد
يا حسرتي راح التعب لغيرنا
آمك حنونة وخلفت سبع الفلا
يا شجرة بالدار حاميها نمر
وتكسرت الغصون من كتر الحمل
إحنا زرعنا الزرع وغيرنا ضمن
يا حسرتي غير التعب ما فادنا
كل العيون عيون وانتو عيوننا (١)

هنا تواصل الشاعر مع الأغنية الشعبية التي تعبر عن قلة الحظ والحزن على التعب. ليعبر عن حنة لفقده جلال كعوش .

ووظف أيضا بعض الأهازيج الفلسطينية في قصيدة "عرس على الطريقة الفلسطينية" :

شيل وراح الغزاوي
ع بلادو راح الغزاوي
عجل بولادك يا صفدي
سبقوك ولاد الحيفاوي (٢)

ليعبر عن الحزن الذي رافق زفة الشهيد كامل حتى الصيف هرب وشاركهم الحزن.

ووظف في قصيدته البشارة أنشودة من أناشيد المقاومة الفلسطينية :

يا مشاوير الكرامة مرحبا
يا جبال النار يا ثورة مرحبا(٣)

فتح مرت من هنا ومن هنا حيث تناص الشاعر أحمد دحبور مع الشاعر صلاح الدين الحسيني في قصيدته " العاصفة" :

يا مشاوير الكرامة مرحبا
يا جبال النار يا ثورة مرحبا
فتح مرت من هنا
فتح مرت من هنا ومن هنا (١)

ليحكي عن الثوار الذين يمثلون جبل النار ومعركة الكر امة دليل على كرامتهم وعزتهم وأنهم سوف ينتصرون.

ووظف بعض الأمثال الشعبية ليتقرب من وجدان جمهوره عن طريق تواصله مع لغتهم وثقافتهم ففي حكاية الولد الفلسطيني وظف المثل: كف ما بناطح مخرز" (٢)

أجل ويضيء هذا النصر في الطرقات والأحياء
لأن الكف سوف تلاطم المخرز
ولن تعجز
ألا لا يجهلن أحد علينا بعد إن الكف لن تعجز.(٣)

استخدمه بعكس ما يعني في الواقع .. فالمثل يقال لمن لا يقوى على الصمود والتحدي فالشاعر حور معناه السلبي إلى معنى ايجابي لدفع الثقة بين المناضلين. فهو لا يريد الذل والهوان بل المقاومة والتحدي

وفي القصيدة ذاتها وظف الشاعر معنى المثل دون إيراد كلماته :

أتعلم أن هذا الكون لا يهتم بالشحاذ والبكاء

وهو معنى موافق لمعنى المثل الشعبي" الغني كل الناس تغني لو" (٤) ويضرب المثل هذا في سياق أن الناس يتغاضون عن مساوئ الأغنياء فوظف المعنى ليقول أن الأمة العربية تهتم بالأقوى وتتجاهل الفقراء الموجودين في المخيم فلا تهتم بهم.

وفي قصيدة رواية المخيم يقول:

لكنها الدنيا تدور .. وإنه الصوت المحتم(١)

وظف المثل الشعبي "الدنيا يوم لك ويوم عليك" يضرب لتغيير أحوال الناس بين البؤس والسعد (٢) فوظفه هنا ليعبر عن انقلاب الأحوال من التأصل إلى الشتات والغربة. ووظف الشاعر الحكاية الشعبية في قصيدته،شهادة الكلمات:

ويوم سار صاحب الجلالة
أمامكم عريان
مهددا بالسوط والدينار والسجان
من لا يرى ثيابه المختالة
كان الحوار زهرة في ثيابه المختالة
كنتم حضورا خائبا أسيان
كنتم بلا لسان
ويوم سار موكب العري إلى حديقة الأطفال بالفزع الغابي والصياله
تجمعوا حياله
وانفلتت نبوءة شقية تختال :
مولانا السلطان
مجنون عريان
من يستر ..من يكسو مولانا السلطان
فضيحة السلطان.(٣)

فالشاعر استلهم حكاية رداء الملك الجديد(١) ،حيث كان هناك ملك مستبد وظالم ومتجبر،لا يسمح للناس ببوح الحقيقة،لان سياطه تلاحقهم ،فعصرهم عصر النفاق ،وعندما تنزه عريان لم يجرأ أحد على بوح الحقيقة إلا رجل متخلف عقليا ،وهكذا زماننا حكامه مستبدين وشعبه منافقين،ولا يتكلم بالحق إلا الأطفال أو المتخلفين عقليا.

الخاتمة

من خلال بحثي هذا توصلت إلى النتائج الآتية:

أولاً: إن توظيف التراث في الشعر الفلسطيني وعلى يد هذا الشاعر،ينم على ثقافة واسعة،ويكسب القصيدة عبق ديني وتاريخي وأدبي وشعبي ويعطيها نكهة خاصة،ويقربنا إليها أكثر،ويدب فينا روح الأمل والتفاؤل.

ثانياً: لاحظت أثر التواصل بجميع أنواع التراث،فعلى صعيد التراث التاريخي:وظف الشاعر الشخصيات التاريخية مثل طارق بن زياد،لخلق مفارقة بين الأمتين ،وورقة بن نوفل لتماثل هذه الشخصية مع شخصية الفلسطيني بعد عام ١٩٦٥م،وشخصية كليب ليبين لنا وضع اللاجئين ،ويطلب على لسانهم من ياسر عرفات عدم المصالحة. ووظف أيضاً معركة حطين بقائدها صلاح الدين الأيوبي؛ليقارن بين المجاهد الآن والمجاهد في زمان صلاح الدين الأيوبي،وليفضح الأمة العربية التي لم ينال منها أدنى مساندة. ومن خلال تواصل الشاعر بالتراث التاريخي،عبر لنا الشاعر عن رؤيته وموقفه من الأمة العربية ومن اللاجئ الفلسطيني.

وأما التراث الديني، فمن خلال توظيفه لمفردات القرآن الكريم مثل(سبع سنابل،طير الأبابيل،الصراط المستقيم،جنات تجري من تحتها الألغام) نجح في إيصال فكره للمتلقي، وبخاصة حث المجاهد الفلسطيني على إكمال دربه المتمثل في طرد المحتل الصهيوني،والعودة إلى وطنه المحتل.واستلهم أيضا السيرة النبوية بما فيها من أحداث مثل:حادثة الهجرة النبوية، ورحلة الإسراء والمعراج، وقصة آل ياسر. وذلك من أجل دب روح النصر والأمل بعد الأخذ بأسباب الانتصار. ولم يكتفِ الشاعر بالتراث الديني بل تعداه إلى التراث المسيحي، المتمثل بالسيد المسيح،من أجل حث الفلسطيني على مواصلة الجهاد والتمرد على المحتل.

ووظف التراث الأدبي بما فيه من شخصيات أدبية تمثلت في شخصية عمرو بن كلثوم،ومالك ابن الريب،وأحمد شوقي. وأفاده ذلك في زرع قيم الاعتزاز بالنفس والثورة على المحتل.

واستغل التراث الشعبي ،بما فيه من أمثال شعبية تمثلت في (الكف ما بتلاطم المخرز ، لكن الدنيا تدور)ووظف أيضاً الحكايات الشعبية المتمثلة بحكاية(رداء الملك الجديد)لفضح الحاكم الظالم وفضح أمته التي تسكت على جرائمه. ووظف بعض الأغاني الشعبية من أغاني الثورة والمقاومة،وبعض الأزاهيج الشعبية التي ساعدت على تخفيف ما يعانيه الفلسطيني في ظل دول الشتات.

ثالثاً:لاحظت بروز التراث التاريخي والديني والشعبي بكثرة، مقارنةً ببروز التراث الأدبي، أو حتى التراث الأسطوري، الذي لم ألمح له أي حضور في هذا الديوان.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

١) القران الكريم

٢) الكتاب المقدس

٣) دحبور، أحمد. بيروت: دار العودة ،١٩٨٣م.

٤) شوقي،أحمد.الشوقيات،ج١،بيروت:دار الفكر، ١٩٩٧م.

٥) يعقوب، أميل بديع. ديوان عمرو بن كلثوم، بيروت: دار الكتاب العربي،٢٠٠٦م.

المراجع:

١)أبو النصر،عمر،الزير أبو ليلى المهلهل بن أبي ربيعة،بيروت:مكتبة المعارف،ط١.

٢)الأحمد،نجيب،فلسطين تاريخا ونضالا،عمان:دار الجليل.

٣)البوظي،محمد،فقه السيرة النبوية،دار الفكر المعاصر.

٤)الزوزني،شرح القصائد السبع الطوال،بيروت:دار الجليل،١٩٧٩م.

٥)الصلابي،علي،التاريخ السياسي والعسكري والاداري لصلاح الدين اليوبي،القاهرة:دار الكتاب الحديث،ط١.

٦)الطريفي،يوسف.شعراء العرب العصر الاموي،دار الاهلية للنشر والتوزيع،ط١.

٧)العمد،هاني.الامثال الشعبية الاردنية.

٨)المصري،محمد العبد.الامثال الشعبية الفلسطينية.

٩)تولستوي،ليون،حكايات شعبية ،ت:صباح الجهيم،ط١،
١٩٩٩م.

١٠)دحلان،أحمد.السيرة النبوية،بيروت:دار الاهلية للنشر والتوزيع.

١١)سيرة ابن هشام.

١٢)ضيف،شوقي،تاريخ الادب العرب العصر الجاهلي،مصر:دار المعارف.

المصادر الالكترونية:

١) https://sites.google.com/site/anashidofpalestine/Home/anashidindex/alef/alcaasefa